الاستفهام في العربية (دراسة تطبيقية)

أ.د. محمد حسين النقيب

ملخص البحث :

الاستفهام من الأساليب النحوية المهمة في لغتنا إذ أن المتحدث يصل بوساطته الى معرفة ما يجهله ، أو طلب الفهم لجوانب متعددة من تفاصيل العلم والمعرفة بل والحياة برمتها ، خاصة ونحن نعيش في مجتمع المعرفة والسباق كبير جدا في صناعتها وإنتاجها وفقا لمتغيرات الحياة .

ومن هذا المنطلق كان من الضرورة دراسة هذا الأسلوب دراسة تطبيقية تراعي الاستعمال الفصيح له ولأدواته المتعددة وصولا الى بيان جمال لغتنا الرائدة واستعمال مفرداتها في واقعنا بطريقة سهلة وفصيحة .

الاستفهام لغةً : سؤال من يفهمنا (١).

وفي الاصطلاح: طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً للسائل من قبل(٢)، أو هو معرفة المجهول في موضوع معين، وعرفه ابن هشام ت٧٦١هـ بأنه : أسلوب حقيقته طلب الفهم.

وسماه البعض: الاستخبار، وعندهم أن الاستفهام والاستخبار واحد(٣).

والبعض يفرق فيرى أن الاستخبار أول، لأنك تستخبر فتجاب بشيءٍ، فربما فهمته وربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم(٤).

والراجح أن طلب الخبر غير طلب الفهم، وإن كان معنى طلب الخبر مما يشترك فيه الاثنان.

معاني الاستفهام:

يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ عدة تكفلت كتب النحو والبلاغة والتفسير ببيانها بالتفصيل، ونذكر على سبيل المثال الآتي:

١- الاستفهام الإنكاري، ويلزم أن يكون المستفهم عنه غير واقع، وأن من أدعاه كاذب، كقوله تعالى: "ألربك البنات ولهم البنون"(٥)، وقوله عز وجل "أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً...."(٦)، وقد يرد هذا النوع والمستفهم عنه واقع، وفعله ملوم كقوله سبحانه "أتعبدون ما تنحتون"(٧).

٢- الاستفهام التوبيخي، ويسمى التقريع، وهو اللوم على ما وقع، فالمستفهم عنه جدير بأن يُنْفَى كقوله تعالى "أفعصيت أمري"(٨).

٣- الاستفهام التقريري، وهو ما يحمل المخاطب على الاعتراف والإقرار بأمر أستقر عنده كقوله تعالى "ألست بربكم"(٩).

٤- الاستفهام التعجبي، ويسمى استفهام التضخيم كقوله سبحانه "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم...."(١٠).

أدوات الاستفهام:

يؤدي الاستفهام بأدوات منها أحرف وهما: الهمزة، وهل، ومنها أسماء وهي: مَنْ ، ما ، ماذا، أين، متى، كيف، أيان، أنى، كم الاستفهامية، أيّ.

المبحث الأول

الاستفهام بالحروف:

١- الهمزة، وهي أكثر ألفاظ الاستفهام دوراناً، ويطلب بها أمران:

أ. التصديق ويراد به إثبات النسبة، ويجاب عنه بـ"نعم" في حالة الإثبات، وبـ"لا" في حالة النفي، وتعد الهمزة أم الباب(١١) ومثال ذلك قولنا:

- أمحمد حضر؟ أحضر محمد؟ أيحضر محمدٌ؟
- أتصبر على الشدائد؟ أصبورٌ على الشدائد؟

ب. التصور، وهو تعيين المفرد ويجب أن يقع المستفهم عنه بعد الهمزة مباشرةً، وتذكر أم المعادلة العاطفة بعد المستفهم عنه، وتمتنع الإجابة بنعم أو لا عند التصور لأننا سنعين المفرد. ومثال ذلك قولنا:

- أمحمد نجح أم علي؟ علي

- أقصيدةً قرأت أم قصة؟ قصةً
- أراكباً جئت أم راجلاً؟ راكباً

وتعرب الهمزة: حرف استفهام مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

أما إعراب نعم أو لا فكل منهما: حرف جواب مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

وللهمزة أحكام معلومة في كتب النحو منها:

١- تقع قبل أدوات العطف لأن لها الصدارة في الكلام كقولة تعالى "أو كلما عاهدوا...." "أفسحرٌ هذا" "أثم إذا ما وقع آمنتم به...."(١٢).

٢- دخولها على المثبت كما مرّ، وعلى المنفي لأغراض بلاغية أخرى(١٣) ويجاب عن الاستفهام في حالة الإثبات بـ"بلى" كقوله تعالى "ألست بربكم، قالوا بلى" وقوله"ألم نشرح لك صدرك" وفي حالة النفي بـ"نعم" كقولنا:

ألم يحضر محمد؟ نعم

ويحسن أن تقدم المعنى المراد تعزيزه في اللفظ على غيره ليكون موضع التركيز والاهتمام كقولنا:

- أضربت زيداً؟ للتقرير بالفعل.
- أزيداً ضربت؟ للتقرير بالمفعول.
- أأنت ضربت زيداً؟ للتقرير بالفاعل.

٣- دخولها على أدوات الشرط(١٤) كقولنا: -أمن يذاكر ينجح.

-أإن منحتني الوفاء أمنحك مثله

٤- جواز حذفها من الكلام، ويبقى المعادل (أم) دليلاً عليها، كقول الأسود بن يعفر:

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً
شعيث بن سهم أم شعيث بن منقرِ(١٥)

أراد أشعيث، وقد تحذف الهمزة من دون وجود المعادل كقول الكميت:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطربُ
ولا لعباً مني وذو الشيب يلعبُ

أراد: أو ذو الشيب.

وكقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

ثم قالوا تحبها؟ قلت بهراً
عدد الحصى والنجم والتراب

أراد: أتحبها؟

وبعضهم قال: إنه خبر، أي أنه قال: أحبها حباً بهرني بهراً"(١٦).

وزعم أبو عبيدة (ت٢١٦هـ) أن (أم) تأتي بمعنى هل كقول الشاعر:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط
غلس الظلام من الرباب خيالاً

والمعنى: هل رأيت، وبعضهم قال: أصل الكلام: أكذبتك عينك، وهنا لا شاهد لهل، وإذا دخلت الهمزة على الفعل المضارع خصصته لزمن الحال أو الزمن الحاضر؛ كقولنا:

- أيرجع أخوك؟
- أتقام الصلاة؟

٢- هل:

وهي مختصة بطلب التصديق فقط، ولهذا لا يذكر معها المعادل بعد أم، لأن (أم)المعادلة لطلب تعيين أحد الأمرين، وهل لا يناسبها ذلك لأنها لطلب الحكم فقط، والحكم فيها عادةً غير معلوم للسائل، وأم المعادلة تفيد أن السائل عالم بالحكم(١٧).

- هل نجح محمد؟
- هل محمد ناجحٌ؟
- هل يرجع أخوك؟

وعند دخول "هل" على الفعل المضارع تخلصه للاستقبال فقط.

ولا يجوز أن تقول: هل جاء زيد أم محمدٌ إلا إذا تكررت هل؛ كما في قول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردمِ
أم هل عرفت الدار بعد توهمِ

وذلك على أساس أن (أم) منقطعةَ بمعنى "بل" لإفادة الإضراب.

وتعرب هل: حرف استفهام مبني على السكون لا محل له من الإعراب. ولهل خصائص تميزت بها من الهمزة منها:

١- لا تدخل على المنفي؛ لأنها بمعنى قد، وهو لا يدخل على منفى(١٨).

٢- عدم دخولها على إنّ، وعلى الشرط، أو حروف العطف، أو اسم بعده فعل بخلاف الهمزة.

٣- لا تحذف من الكلام في سياق الاستفهام.

وقد تأتي "هل" لمعانٍ غير الاستفهام ومنها:

- بمعنى "قد" كما أجمع النحاة والمفسرون في قوله تعالى "هل أتى على الإنسان حين من الدهر"، فهي هنا حرف تحقيق يفيد التوكيد بمعنى "قد"(١٩).
- بمعنى "إنّ" كقوله سبحانه: "هل في ذلك قسم لذي حجر"(٢٠).
- بمعنى ما النافية مثل قوله تعالى "هل يستوي الأعمى والبصير".

المبحث الثاني
الاستفهام بالأسماء

هي كنايات حملت على الهمزة وهل، ويستفهم بها عن المفرد اسما كان أم جملةً وهي: مَنْ ، ما ، ماذا، أين، متى، أيان،

كيف، أنى، كم الاستفهامية(٢١)، أي، وجميع أسماء الاستفهام مبنية إلا (أي) فإنها معربة، كما أن جميعها لها الصدارة في الكلام، ومن ثم إذا وقعت مفعولاً به أو فيه فإنها تكون مقدمة وجوباً والفعل العامل فيها بعدها وإذا وردت خبراً فلا بد من تقدمه على عامله، ولكل من هذه الأدوات أحكام نورد أهمها فيما يأتي:

أ. من – ما – ماذا

(من) تستعمل للعاقل، وما وماذا، لغير العاقل وقد تستعمل (ما) لصفات العقلاء كقولنا: ما زيد أطويل أم قصير؟ وإذا اجتمع غير العاقل مع العاقل استعملت (من) فيهما(٢٢)، كقوله تعالى "والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه"(٢٣) وإعراب هذه الأدوات كالآتي:

١- اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وذلك إذا جاء بعدها:
- فعل متعدٍ استوفى مفعوله مثل: من درسك؟ من أنشأ مدينة زبيد؟
- فعل لازم مثل: من حضر؟
- فعل ناقص مثل: من كان معك؟ ماذا صار في الدار؟
- اسم نكرة أو شبه جملة مثل: من رجل؟ من في الدار؟ من فوق السيارة؟

٢- اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم وجوباً؛ إذا جاء بعدها فعل متعدٍ لم يستوف مفعوله مثل: من درست؟ من أكرمت؟ ما صنعت؟ ماذا قدمت؟

٣- اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع خبر مقدم وجوباً، وذلك إذا ورد بعدها اسم مرفوع معرفة مثل:
- من القادم؟
- ماذا الأمر؟
- "ما القارعة"(٢٤).

٤- اسم استفهام مبني على السكون في محل جر بحرف الجر كقولنا: إلى من أتيتَ؟

ب. أين – متى – كيف – أيان – أنى.

تدل (أين) على المكان، (متى) على الزمان، و(كيف) على الحال، (أيان) للزمان وفيها معنى التهويل، (أنى) بحسب المعنى، فتكون بمعنى (كيف) كقوله تعالى "أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر"(٢٥) وبمعنى (من أين) كقولك: يا محمد أنى لك هذا، وبمعنى متى كقولك: زرني أنى شئت، وتعرب هذه الأسماء كالآتي:

١- اسم استفهام مبني(٢٦) في محل رفع خبر مقدم وجوباً، إذا ورد بعدها اسم مرفوع مثل:
- أين أخوك؟
- متى السفر؟
- "أيان يوم القيامة" "أيان يوم الدين"(٢٧)
- كيف الامتحان؟

٢- اسم استفهام مبني في محل نصب ظرف مكان أو زمان أو حال بحسب دلالتها،وذلك إذا جاء بعدها فعل تام؛ مثل:
- أين تذهب؟ اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب ظرف مكان
- متى رجعت؟ اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب ظرف زمان
- كيف وصلت؟ اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال
- أنى تعود؟اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب ظرف زمان–حال

٣- اسم استفهام مبني في محل نصب خبر مقدم للفعل الناقص، وذلك إذا ورد بعدها فعل ناسخ:
- كيف أمسيت؟
- أين كنت؟

ج. كم الاستفهامية :

هي كناية عن العدد المبهم، تحتاج إلى جواب يبين عدد المستفهم عنه، ويكون تمييزها مفرداً منصوباً نحو: كم كتاباً قرأتَ؟ وإذا دخل عليها حرف جر كان تمييزها مجروراً نحو: بكم دينارٍ اشتريت الكتاب؟

أما إعرابها فكما يأتي:

١- اسم استفهام في محل رفع مبتدأ إذا كنى بها عن ذات، أو أتى بعدها فعل لازم، أو متعدٍ استوفى مفعوله مثل:
- كم مزرعةً في القرية؟
- كم طالباً حضر؟

٢- اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم وجوباً، وذلك إذا تلاها فعل متعدٍ لم يستوف مفعوله مثل:
- كم مزرعة زرت؟
- كم طالباً درستَ؟
- كم مزرعةً زرتها؟

٢- اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب ظرف مكان أو زمان، إذا ورد بعدها لفظ يدل على الزمان أو المكان، مثل:

- كم ساعةً سافرت؟
- كم مكاناً قطنت؟

والنوع الثاني من "كم" هي الخبرية، وهي ما يدل على التكثير والمبالغة، وتعرب كم الخبرية كإعراب الاستفهامية حسب موقعها في التركيب اللغوي، وهي مضافة وما بعدها مضافٌ إليها كقولك: كم كتابٍ قرأتُ.

وتختلف الاستفهامية عن الخبرية في خمسة أمور:

١- الكلام مع الاستفهامية لا يحتمل التصديق أو التكذيب، ومع الخبرية يحتمل ذلك.
٢- الاستفهامية تحتاج إلى جواب، والخبرية لا تحتاج لأن المتكلم فيها مخبر.
٣- يقترن الاسم المبدل من الاستفهامية بالهمزة بخلاف الخبرية نحو: كم مالُك أعشرون أم ثلاثون؟
٤- تمييز الاستفهامية على الأرجح مفرداً، والخبرية مفرداً أو مجموعاً.
٥- تمييز الاستفهامية واجب النصب، والخبرية واجب الخفض(٢٨).

د. أيّ:

تسأل بها عما يميز أحد المشتركين فيما يعمهما عاقلاً كان أم غير عاقل مثل:

أي الكتابين أبلغ.

وتتميز من أسماء الاستفهام بأنها معربة، وتضاف إلى اسم يزيل إبهامها.

وتعرب:

١- مرفوعة بالابتداء إذا ورد بعدها اسم مرفوع أو فعل لازم أو متعدٍ استوفى مفعوله:
- أيُّ طالب حضر؟
- أيُّ الطلاب أحبُ إليك؟

٢- مفعول به منصوب مقدم وجوباً مثل:
- أيَّ طالب أكرمتَ؟
- أيَّ سورةٍ حفظت؟

وذلك في سياق الفعل المتعدي الذي لم يستوفِ مفعوله.

٣- النصب على الظرفية، إذا ورد بعدها ما يدل على الزمان أو المكان:
- أيَّ ساعةٍ سافرت؟
- أيَّ دارٍ سكنت؟

ومن خلال هذا العرض نتبين أن المهم لدارسي النحو العربي معرفة المحل الإعرابي لاسم الاستفهام لنصل الى الاعراب السليم المتوافق مع القواعد النحوية ولعل من المفيد إفادة الباحث بأن يجيب على سؤال الاستفهام ، والموقع الاعرابي للإجابة هو المحل الاعرابي لاسم الاستفهام .

مثال:

من أكرمت ؟

فتجيب : زيدا

أو : أكرمت زيدا.

فسيكون اسم الاستفهام فى محل نصب مفعول به مقدم وجوبا لأنه من الأسماء التي لها الصدارة فى الكلام ، وهكذا .

أما بعد:

من خلال عرضنا لأسلوب الاستفهام في بحثنا هذا وربطه بالقرآن الكريم والتطبيق الاعرابي يرى المؤلف إيراد أهم التوصيات:

- الدراسات اللغوية المرتبطة بالقرآن الكريم تزيد اللغة الثرة ثراءً وجمالاً.
- جمال الأساليب في لغتنا نابع من إدراكنا لمكوناتها وتوظيفها لخدمة الفكرة المراد إبانتها.
- ضرورة الربط بين القاعدة النحوية والتطبيق في الحياة العملية نطقاً وكتابةً.
- الاعتزاز باللغة اعتزاز بالأمة ومقوماتها.
- الباب لم يوارَ أمام الباحثين للإضافة والإيضاح لكل بأسلوبه وطريقته.

فهرس المصادر والمراجع

١ القرآن الكريم.
٢ الإتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، مطبعة الحلبي، الطبعة الثالثة ١٩٥١م.
٣ الأساليب النحوية ،د. محمد حسين النقيب ، الطبعة الرابعة ٢٠١٤م
٤ الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج، تحقيق د/عبدالحسين الفتلي- مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
٥ البرهان في علوم القرآن، الزركش، القاهرة ١٩٥٧م.
٦ التراكيب اللغوية، د. هادي نهر، دار اليازوري عمان الأردن، الطبعة العربية ٢٠٠٤م.
٧ جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى- مصر ١٩٦٠م.
٨ ديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، تحقيق : نوري حمودي القيسي
٩ ديوان الكميت بن زيد الأسدي ، جمع وشرح وتحقيق د/ محمد نبيل طريفي دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م
١٠ شرح المفصل، ابن يعيش، مكتبة المتنبي القاهرة.
١١ الكامل في اللغة والأدب ، محمد بن يزيد المبرد ، موقع الوراق .
١٢ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٨٥م.
١٣ الكتاب، سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق/ عبدالسلام هارون، عالم الكتب بيروت.
١٤ لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور، دار صادر بيروت.
١٥ المقاصد النحوية ،بدرالدين محمود بن أحمد العيني ،تحقيق :على محمد فاخر وآخرون ، دار السلام للطباعة والنشر ٢٠١٠م .
١٦ المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمه، عالم الكتب بيروت.
١٧ الموسوعة العالمية للشعر العربي ، رقم قصيدة عنترة ١٠٧٤٥
١٨ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت لبنان.

الهوامش

(١) لسان العرب – مادة فهم.
(٢) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي ص٨٥.
(٣) راجع شرح المفصل ١٥٠/٨، الاتقان في علوم القرآن ٧٦/٢.
(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٢٦/٢. ، ينظر: الأساليب النحوية ،د.محمد النقيب ص ٩
(٥) الصافات ١٤٩.
(٦) الحجرات ١٢.
(٧) الصافات ٩٥.
(٨) طه ٩٣.
(٩) الأعراف ١٧٢.
(١٠) البقرة ٢٨.
(١١) الكتاب ٩٩/١، ٢١٧/٤. وينظر العين للخليل بن أحمد ٣/ ٢١٠
(١٢) على التوالي البقرة ١٠٠، الطور ١٥، يونس ٥١.
(١٣) يراجع البرهان ١٧٩/٤.
(١٤) ينظر الكتاب ٨٢/٣.

(١٥) ديوان الأسود بن يعفر ٣٧، ينظر الكتاب ١٧٥/٣، المقتضب ٣/ ٢٩٤،المقاصد النحوية١٣٨/٤

(١٦)معنى اللبيب ١٥/١.وينظر : الكامل في اللغة والأدب للمبرد ١/ ١٧٢ ، ديوان الكميت بن زيد الأسدي .

(١٧) التراكيب اللغوية – هادى نهر ٢٠.

(١٨) المصدر نفسه ٢١، وينظر الموسوعة العالمية للشعر العربي ، رقم القصيدة ١٠٧٤٥.

(١٩) الإنسان١، ينظر المغنى ٣٥١/٢، ٣٥٢.

(٢٠) الفجر

(٢١) التراكيب اللغوية ص٢٢.

(٢٢) ينظر المقتضب ٥٠/٢، ٥١.

(٢٣) النور ٤٥.

(٢٤) القارعة ١.

(٢٥) مريم ٢٠.

(٢٦) متى، أنى على السكون، أين، كيف، أيان على الفتح.

(٢٧) على التوالي: القيامة ٦، الذاريات ١٢.

(٢٨) التراكيب اللغوية ٣١، ينظر المغنى ١٨٤/١، الأصول في النحو ٣٢٣/١